

## المغامرة بين الواقع والخيال في أدب الأطفال

د. أماني الجندى  
دكتوراه في الإعلام وثقافة الأطفال  
مدير تحرير سلسلة آفاق عربية

### مفهوم أدب الأطفال وسماته :

هو كل نشاط لغوي رفيع، ورؤية إبداعية تصويرية، وصياغة للغة على نحو مفارق للاستخدام العادي واليومي، وإذا كان للأدب - عموماً - تقنيات وأدوات تتحدد تبعاً للنوع الأدبي (رواية - مسرحية - قصة - شعر)، فإن أدب الأطفال لا يختلف كثيراً عن هذا المفهوم ولا هذه التقنيات، اللهم إلا في العناية بأساليب العرض وطرق التقديم، والالتزام بكثير مما يمكن لأدب الكبار أن يتجاوزه.

ومن هنا فإن الكتابة للأطفال أصعب بكثير من الكتابة للكبار، لأن المتلقى الطفل يختلف في وعيه باللغة والمفاهيم والمعارف عن المتلقى الكبير، ولأن الأطفال ليسوا في مستوى واحد من التلقى، وإنما هم مستويات يختلفون باختلاف شرائحهم العمرية، وهناك تصنيفات تقسم الطفولة إلى مراحل سنوية وتحدد لكل مرحلة خصائصها النفسية والمعارف التي تتناسب معها.

يمثل أدب الأطفال أحد أهم السبل لتعريف الطفل بالحياة وأبعادها، وإكسابه الخبرات المطلوبة والمهارات اللازمة لحياته الحالية والمستقبلية، وهو بأنواعه الإبداعية المتعددة من القصص والأشعار والمسرحيات، وبوسائله المختلفة من كتب ومجلات وصحف وأساليب عرض معاصرة يمكنه أن يبيث في النشء القيم والمبادئ التي ستمثل النمط الثقافي السائد وتمنحه الهوية الثقافية، كما يمكنه من خلال التي يعرضها لتعامل البشر مع بعضهم بعضاً وتعاملهم مع الكائنات الأخرى من حيوان ونبات وجماد والتعامل بين هذه الكائنات وبعضها البعض.

أيضاً يعد أدب الأطفال هو الأساسى فى مساعدة الأطفال على التعرف على أنواع مختلفة فى التفكير (الابتكارى، والإبداعى، والاختراعى)، وهى مهارات تعد أساسيات للوجود والحياة فى مجتمع تتعاظم فيه الثورة المعرفية والتكنولوجية، ويطرح الجديد فى كل لحظة وكل ثانية، وتضع الأطفال فى سياق مشكلات جديدة ليس لديه عهد بها، مثل وصلة الإنترنت والوير لس كيف يصل بدون سلك توصيل، الموبيل وكيف تصل الإشارات بدون أسلاك، وهو ما يضع الطفل فى حتمية الاعتماد على التفكير الإبداعى والابتكارى والاختراعى، والمغامرة فى التغلب على حل هذه المشكلات أو حتى فهم طريقة التعرف عليها ومنعها قبل حدوثها، الخيال والتخيل : وما يتعلق بهما من إطلاق العنان للعقل البشرى فى أن يتجاوز حدود المعقول واللامعقول، والقريب إلى البعيد، والممكن القائم فى الإمكان والمستحيل فى الخيال.

### أدب الطفل من الخيال إلى الواقع :

بدأت قصص الأطفال تهتم أكثر بالعمل والآلة والمنتج المادى، ولا تعول كثيراً على الجانب الروحى والإنسانى، أصبحت تنتج فى شكل سيناريوهات يتلقفها أدب الأطفال ليصنع منها واقعاً افتراضياً يدرّب الجيل الجديد عليه، فتستثير الدافعية فيهم، لأنها من جهة تتناسب مع حرية خيالهم وإمكاناتهم العقلية غير المحدودة والقادرة على تخطى الصعاب واجتياز العقاقب، ومن هنا يحول

خياله إلى واقع فى بعض الاحيان.

أحياناً يتناول أدب الأطفال توظيف المخترعات المعاصرة فى نسج قصص حولها، وتكون هى الحدث المركزى فيها، مثل نسج قصة حول زرع كاميرا فى جسم إنسان لتقوم برحلة داخله، ومنها تصوير رحلة قطرة ماء منذ كانت نقطة فى بحر وتبخيرها وانتقالها بفعل السحاب ووصولها إلى نقطة عذبة فى نهر، ثم دخولها المنازل للاستهلاك الأدمى أو نزولها فى حقل لتروى نباتاً، أو، أو، ... إلخ.

أيضاً استشراف الرؤية المستقبلية، وتوقع أفق مستقبل هذه الاختراعات، ومنها ما تم نسجه من قصص حول العالم بعد ألف عام مستقبلاً، ووسائل المواصلات فيه لتصبح سيارات طائرة، وتطور الحبوب لتصبح أطعمة تتضخم عند الحاجة، وتطور الهواتف المحمولة ليتحكم الإنسان من خلالها فى التواصل مع العالم من مكانه دون أن يتحرك متراً، وتطور العلاقات الإنسانية باستخدام الجينات الوراثية، وقصص غزو الفضاء، والانتقال للحياة على كواكب أخرى، على نحو ما تصوره قصص وحكايات وأفلام المستقبل والخيال العلمى.

### المغامرة فى القرآن الكريم :

ولا ننسى قصص القرآن الكريم الذى يحكى لنا عن الأمم السابقة، وأفعال كلها مغامرات وردت فى القرآن الكريم، كان مغامرات لا تصدق فى الخيال، ولكنها بفضل الله وقدرة الإنسان أصبحت واقعاً وتاريخاً يحكى لنا ولأسلافنا، نتعلم منه الموعظة والحكمة والإصرار على تحقيق الأهداف النبيلة التى تخدم البشرية.

#### ومنها على سبيل المثال :

- قصة سيدنا موسى فكانت مغامرة أن يوضع فى صندوق خشبى ويلقى فى اليم (البحر) حتى تبعده أمه عن بطش فرعون الظالم، فهى مغامرة ولكن الواقع والعلم فى "نظرية الطفو" أن المواد الخشبية تطفو فوق سطح الماء ومنها تم اختراع المراكب الشراعية والسفن والناقلات.

- قصة سيدنا صالح وعن الناقة التى تحدثت، استطاع الإنسان ترويح الحيوانات الأليفة والمفترسة منها أيضاً فى خدمة الإنسان، فأصبح يتعامل معها ويسخرها لخدمته مهما كان حجمها أو خطورتها، فهذا خيال تحول إلى واقع، وتعرفنا عليه من القرآن، وما روى عن الحديث النبوى وتحول إلى قصص من التراث الشفاهى.

- سيدنا نوح أمره الله أن يزرع شجراً ليعمل منه السفينة، وكانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع، كانت من ثلاث طبقات : السفلى للحيوانات والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور، وكان بابها فى عرضها ولها غطاء من فوقها.

وعلى هذا النسق يستمر المؤلف فى سرد القصص والحكايات التى تتضمن قيماً خيالية وقدرات عقلية تستثير خيال الطفل وتجعله يفكر ويتعقل الأمور ويفكر منطقياً كيف يحول الخيال إلى واقع حقيقى ملموس من خلال قراءاته الأدبية لهذه القصص والحكايات.

### ألف ليلة وليلة وأدب الخيال العلمى:

تعتبر حكايات ألف ليلة وليلة منبعاً للحكايات وتحتفظ بالريادة فى تقديم قصص الخيال العلمى، وقد التفت إلى هذه الحقيقة أحد الرواد المتميزين فى أدب الأطفال "عبدالطوب يوسف" قائلاً :

”قد اقتبست شخصياً قصة الملك عجيب بعد قراءتي لها عند كامل كيلاني، وفي أصل ألف ليلة، وفتت عندها طويلاً، إذ إنها، فيما أرى، واحدة من أقدم الخيال العلمي فى التاريخ، إن لم يكن أقدمها“.

وقصة الملك عجيب تؤكد معرفة العرب بالمغناطيس، وابتكارهم قصة جبل المغناطيس يدل بشكل قاطع على خيالهم الخصب وعلى إدراكهم أهمية العلم، وذلك فى وقت مبكر، وقد استخدمت هذه القصة فى كتاب علمى يدور حول "بيت الإبرة" والمغناطيسية لأدلل بها على أنهم لم يكتفوا بالمعرفة إنما نسجوا حولها عملاً فنياً وجاوزوا هذا إلى استثمارها فى ابتكار البوصلة التى قيل إنها من عمل الصينيين برغم أنها عربية الأصل، بل لقد طورها العرب وتمكنوا من صنع البوصلة البحرية.

وليست قصة الملك عجيب فقط هى التى تنتمى لهذا النوع "فى التراث الشعبى العربى فيض من الحكايات عن (بساط الريح) و(مصباح علاء الدين) و(المارد المحبوس فى القمقم) والمصباح السحرى، والطيران على بساط الريح، أمور ممكنة علمياً أو هى تستند على أسس علمية مقبولة. وقصة المارد المحبوس أشار إليها رجال العلم على أنها تشير إلى نوع من الطاقة الكامنة ذات القوة البالغة العنف والضراوة، وتشبه القنبلة الذرية. يكشف الحوار بين الصياد والعفريت عن النسق العقلانى فى التفكير للخروج من المأزق حتى ولو كانت القوة المناوئة لنا خارقة، فاستخدام العقل يتجاوز هذه القوة، ومن ثم تؤكد لنا القراءة الواعية لحكايات ألف ليلة وليلة أننا أمام كتاب لا يهدف للإمتاع والتسلية فقط، بل ينطوى على حكايات تنمى ذكاء الطفل وقدرته على تجاوز أزمات وزرع الثقة فى قدراته إذا أحسن استخدامها.

### **قصص المغامرات :**

هى حكايات تروى أفعالاً حدثت من أو لشخصيات واقعية على أن تنطوى أحداثها على مفاجآت أو أعاجيب. ومن أمثلة هذا النوع :  
القصص البوليسية وتتبع الجرائم والجاسوسية، الأساطير، المغامرات، الخيال العلمى، الخرافات والخوارق. وقصص رعاة البقر ومغامرات الأطفال وأخبار الرحلات وقصصها والأسفار والأحداث الغامضة والألغاز.

### **المغامرة فى الأدب الشعبى :**

كل بطولة تبدأ بمغامرة، وليس كل مغامرة بطولة، والوجدان الشعبى ينظر إلى البطل على أنه مغامر تاريخى يعبر عن أحلام الإنسان ويجسد آماله، ويعيد الحق إلى أصحابه، ويقاوم الظلم، ويحقق العدالة، ويقهر الأعداء.  
والبطل هنا أيضاً يستند إلى وقائع تاريخية حقيقية، ثم يضيف الوجدان الشعبى لهذه الأحداث ما يشكل أسطورة البطل، وهذه العناصر تسمى بالبطل إلى مستوى رفيع يتطلع إليه الشعب ويزهو به لأنه غامر بنفسه وضحى بكل شىء من أجل أن يعيش هذا الشعب بكرامة وحرية.  
يصل البطل إلى مرتبة الأسطورة لأنه يفعل ما لا يقدر عليه الآخرون لأنه جمع بين الواقع والخيال، ولأنه فى مستوى الذكاء ما يجعله يقهر أعداءه مهما امتلك هؤلاء الأعداء من حيلة

وخبث ودهاء.

ويكفى في بداية ظهور البطل أن يقوم بمغامرة ناجحة يحقق فيها ما لم يستطع أحد أن يحققه فيلفت الأنظار، ويتحلق حوله الشعب يطالبه بالمزيد، وينظر إليه بالمزيد، وينظر إليه باعتباره يجسد أشواقه وأحلامه.

ويتوقف اقتناع الشعب ببطله على قيمته وتأثير هذه المغامرة الأولى التي يقدم بها نفسه للشعب ومدى نفاذها إلى الوجدان الشعبي، ثم تروى هذه المغامرة على السنة الرواة وتتيح لكل راوية أن يضيف إليها أو يبالغ، ويدهش السامعين حتى يسود بينهم ذلك الارتياح الذي يسلمون به أنفسهم لهذا البطل المغامر وهم راضون وسعداء، ومن ثم فإن البطل المغامر هذا لا يقبل على مغامراته الأولى عشوائياً، وإنما هو يضع لها الخطط ويرسم لها الخرائط التي تعينه على كسب المغامرة وإفشلته مغامرته وقضى على محاولته في وجدان الشعب، وحينما يفشل المغامر في تجربته الأولى فهذا يعني أنه لن يكون بطلاً ناجحاً، فقد استقر فشله في وجدان الشعب، وهنا تأتي فرصة أخرى سانحة لبطل آخر يمتلك عناصر المغامرة الإيجابية ليحل محل البطل الفاشل.

ومن هنا نقول ونؤكد أن البطولة الحقة تبدأ دائماً بمغامرة محسوبة لكن ليس كل مغامرة تنتهي إلى بطولة، ومن أشهر قصص المغامرات في التراث، وأوزيريس في عداد هذا النوع من الأساطير التي تمثل خلود البطل الأسطوري.

### حكايات البطولات :

#### بطل شعبي :

نمط شائع من الشخصية في دراسة الفولكلور يظهر في السير والحكايات والمواويل القصصية. ويعد البطل الشعبي مسئولاً عن تأسيس بعض السمات المميزة للجماعة وطريقتها في الحياة، حيث يمر بمراحل معينة في حياته، كما يسعى لتحقيق بعض الأمنيات والتطلعات التي يتطلع إليها الشعب. ويمكن للبطل الشعبي أن يؤدي على نحو ما وظيفة الوسيط بين ماضي الشعب الأسطوري والتاريخي من ناحية والعالم الواقعي الذي يعيشه من ناحية ثانية.

وللبطل الشعبي العربي عموماً سماته الخاصة التي أبرزتها السير الشعبية العربية ومنها الشجاعة الفاتقة، والجمع بين الفروسية والبراعة في قول الشعر، فضلاً عن نزاعه القومية للذود عن الدين والوطن والعرض في مواجهة المعتدين، حيث نجد ذلك في بطولة عنتره، وأبي زيد الهلالي، وسيف بن ذي يزن، وذات الهمة... وغيرها من السير.

#### سيرة عنتره بن شداد :

والسيرة حافلة بالمغامرات والأخطار والمواقف الصعبة التي تجذب القارئ الصغير وتنمي خياله وتذكي إحساسه.

لقد قدمت السيرة أهدافاً كثيرة اجتماعية وثقافية وسياسية ودينية، وهذه الأهداف ترسم صورة كبيرة للمجتمع العربي وارتباطاته كلها دون أن تهمل الوقوف عند الجزئيات المهمة لتفصيلها. وبطل السيرة عنتره بن شداد صاحب رسالة سامية، هي رسالة العدل والحق والواجب، وهذه حقوق طبيعية بسيطة المطلب صعبة المنال تحتاج للشجاعة والمغامرة للحصول عليها. هناك صراع بين الخير والشر وقوة خارقة في الانتصار على الشر من بطل السيرة.

إنه فارس ونموذج يشعل وهج الهزيمة في وجدان الصغار، ويرفض الهزيمة في كل المواقف، ففي السيرة نرى أبناءنا على القدوة والمثل الأعلى في كثير من المواقف التي يقتحم البطل فيها الصعاب ويتحدى نفسه ويتفوق عليها.

إن شيمة الفارس ألا يستسلم لأي قهر - هكذا تؤكد سيرة عنتره - وهو يحصل على نوق الملك النعمان - النوق العصافير - التي لا يقدر عليها أحد ويسوقها مهرًا لعبلة، ولم يكن أحد يروى هذا ولو حدث فهو من قبيل المعجزات.

### مغامرات سندباد :

#### سندباد :

من أشهر الحكايات الشعبية عند العرب والفرس. وقد ذهب بعض الدارسين إلى أنها عرفت باسم "سندباد نامة"، وتقوم على الوظيفة التقليدية لبعض أجناس الأدب الشعبي، وهي الدعوة إلى التوازن وعدم الشطط في السلوك. ولقد روى أن أحد الملوك عهد بتأديب ابنه إلى الحكيم سندباد، فأمر هذا الحكيم أن يمنع الأمير عن الكلام سبعة أيام ولكن الملكة تشى بالأمير ويهم الملك بقتله، وهنا يبادر سبعة من الوزراء يتقنون في سرد القصص حتى يحولوا بين الملك وبين تنفيذ الحكم على الأمير حتى تتحقق براءته.

وضُمت حكايات السندباد بعد ذلك بفترة غير قصيرة إلى مجموعة ألف ليلة وليلة. وقد ترجمت هذه الحكايات منفصلة عن تلك المجموعة الشهيرة إلى كثير من اللغات، ولكنها اشتهرت في الآداب الشعبية كلها بأنها من حلقات ألف ليلة وليلة. ولايزل دارسو الأدب الشعبي يجدون في محاولة الكشف عن حكايات السندباد، وتتبع مدى تأثيرها المباشر وغير المباشر على الفنون القصصية، وفي اعتمادها على المشوق والعجيب لا في الأحداث فحسب ولكن في محورها الرئيسي على الرحلات والأسفار. وكان لحكايات السندباد الفضل الأكبر في إثراء قرائح كتاب قصص الأطفال ومبدعى فنون الكارتون والأفلام، مما جعل منها منبعًا لكثير من الأعمال الإبداعية الموجهة للأطفال عن المغامرات والرحلات في عالم العجائب والغرائب.

#### الأساطير :

والأسطورة تعرف بأنها قصص الأرباب والأبطال، أو الحكاية التي تختص بالآلهة وأفعالهم ومغامراتهم من حيث مولدهم وموتهم وحبهم وبغضهم. وهي روايات خيالية من أجل تفسير طبيعة الكون ومصير الإنسان وأصول العادات والعقائد وأسماء الأماكن المقدسة والأفراد البارزين. ومن الأساطير ما يصف الطقوس والشعائر التي صحبت الإنسان في علاقته بالآلهة، ومن ثم ترتبط بالمناسك والشعائر.

ويقسم العلماء الأساطير إلى أنواع منها :

#### ١- الأسطورة الكونية أو الطقوسية :

وهي أقدم أنواع الأساطير التي نتجت عن انشغال الإنسان بالكون وبالظواهر الكونية فعبر عن نوازه الداخلية بلغة تصويرية تمثيلية لكي تهدأ نفسه ويتحدد مفهومه بالنسبة للكون. ويمكن أن نضع أساطير الخلق التي عرفت شعوب العالم القديم تحت هذا النوع، فهي في أغلبها تصور

الأرض والسماء ملتصقتين ثم انفصلتا، وأن الشمس والقمر كانا زوجين وأنجبا أبناءهما النجوم. ومن ذلك أساطير الخلق البابلية والعبرية والمصرية القديمة التي يقول فيها المصريون إن الخالق أتوم خرج من مياه الهيبولى (النون) وأقام رابية صغيرة ليقف عليها واتفق أنها فى معبد الشمس فى هليوبوليس، وكان لآتوم الخالق ولدان هما شو وتقنوة (الهواء والرطوبة)، وأن ولديهما جب ونوة (الأرض والسماء)، والأولاد هؤلاء أربعة أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس وهم يمثلون القوى الكونية فى المجتمع.

## ٢- أسطورة البطل المؤله (الخالد) :

وهى تصور الإنسان الذى يحاول أن ينتزع من الآلهة ما لا يمكن وهو الخلود. ومن أمثلة هذه الأساطير أسطورة جلجامش أو ملحمة المشهورة وهى من أقدم أساطير الشرق التى اكتشفت كتاباتها باللغة الأكادية على ١٢ لوحًا فى أواخر القرن التاسع عشر.

وهى تحكى عن أحد ملوك بابل "جلجامش" الذى يقال إنه عاش فى الألف الثانى قبل الميلاد، وأنه رغب فى الحصول على الخلود وبدأ صداقة بانكيديو الرجل البرى شبه الوحشى. ثم بدأت مغامراتهما معًا للوصول إلى عين الحياة أو الوصول إلى الحياة الخالدة. ولكن جلجامش يفقد انكيديو أثناء رحلتها، وعندها بدأ يفكر فى أمر الموت الذى اختطفه، ولجأ إلى تحضير روح انكيديو، وبهذا حلت نهاية جلجامش. ونحن نستطيع كذلك أن نضع أسطورة إيزيس.

## حمزة البهلوان :

بطل السيرة المدونة التى تذكر أن أباه هو الملك إبراهيم حاكم مكة، وبهذا تجعله شريف النسب. أحيطت ولادة حمزة بمظاهر الحفاوة من قبل أهله حيث تنبأ له الوزير بزرجمهر الفارسى بمستقبل باهر. كما أن الخضر ظهر له وباركه فى الصحراء وهو لا يزال فى العاشرة، حيث كان يتدرب على القتال والصيد بصحبة رفيقه عمر العيار. أشار عليه الخضر أن يجمع ثمانمائة طفل كانوا قد ولدوا معه ليجمع منهم جيشًا يقاتل الفرس أعداء بلاده.

كتب على الأمير حمزة البهلوان أن يكون الفارس الذى يرفع نير الفرس عن العرب، ويهدم معابد النيران وتقع بينه وبين الدولة الكسروية حروبًا قوية تفضى فى النهاية إلى الخراب والدمار وينتشر دين الله.

انطوت هذه السيرة بين طيات المدونات، مثل بعض السير العربية الأخرى، فلم يعد أحد من الرواة يروونها فى الوقت الحاضر، وإن كانت بعض الدراسات العربية قد تناولتها بالدراسة مثل دراسة محمد رجب النجار "قراءة فى سيرة حمزة العرب".

## حكايات الجان وقصص الخوارق :

وهى قصص رويت فى حينها على أنها خوارق وخيال جامح وبمرور السنين واقتراب الخيال من الواقع اتفق بعضها مع التقدم العلمى المعاصر فى مجالات العلم والتكنولوجيا.

تدور أحداث حكايات الجان فى بلاد بعيدة عن عالم الواقع وأبطالها شخصيات لا أسماء لها، كالملك والوزير وأمنا العجوزة. وهو قصص نثرى تصلح عباراته لكل شخصية مشابهة أو موقف مشابه. فهى فى جوهرها حكايات ميلودرامية، من حيث الانفعال العاطفى، ومن حيث الطابع الذى يطبعها. وغالبًا ما يستعين البطل بشخصية خارقة يكسب ودها بجميل يصنعه لها أو فضيلة أو كلام

يخلبها وهو (البطل) الذى يتحلى بالفضائل، ولا يعلق به أى ضعف، ولا تتطور شخصيته، فمنذ بدء القصة يكون متفوقاً بذكائه أو نقاء نفسه، ويظل كذلك إلى نهاية الحكاية، وذلك بمعاونة خدامه الطيبين من الجان أصحاب الخوارق.

وللتشابه الشديد بين حكايات الجان عالمياً أرجعها بعض الدارسين من أتباع النظرية الجغرافية التاريخية، وعلى رأسهم تيودور بنفى، إلى أصل هندی هاجرت منه إلى أوروبا وبقاع العالم الأخرى. ولكن هذه النظرية تعرضت للهجوم من قبل أندرو لانج وزملائه أتباع نظرية تعدد الأصول التى تعرضت للهجوم هى الأخرى للنقد على يد أتباع المدرسة الأنثروبولوجية، الذين يستنتجون أن بعض الجزئيات التى تدخل فى تكوين الحكايات هى بقايا متخلفة من مرحلة ثقافية ماضية مثل الطوطمية، أو بعض النظم الاجتماعية مثل توريث العرش للبنى بدلاً من الابن. كما حاولت النظرية النفسية هى الأخرى تفسير أصل حكايات الجان، وردتها إلى طقوس قديمة وإلى احتفالات الجماعات البدائية ومواكبها. أما مدرسة التحليل النفسى فقد رأت أن هناك عقداً نفسية مختلفة تنشط فى سن الطفولة تدعو إلى إنشاء هذه الحكايات.

وأما الجان الذى يظهر فى هذه الحكايات فقد تعددت الآراء حول تصور أصله، فهى كائنات من فلول قوم قدماء بعد أن غزاهم قوم آخرون فاعتصموا بالجبال والكهوف والأماكن الخربة، أو هم كائنات كانت فى أصلها آلهة أو أبطالاً، أو هى تجسيد للأرواح البدائية وراء الكائنات والظواهر الطبيعية، فروح الشجرة جنية، وروح الماء حورية، ومن الجان الخير والشرير. ولا تخرج علاقات الجان بالبشر فى حكايات الجان عما يلى :

١- الجن يعين البشر.

٢- الجن يلحق الأذى بالبشر.

٣- الجن يخطف أحداً من البشر لأغراض خفية.

٤- استبدال الجنى بواحد من البشر.

٥- زيارة أفراد من البشر لأرض الجان.

٦- عشيقه من الجن لواحد من البشر.

وتروى بعض الحكايات أنباء الحب الذى ينشأ بين رجل من عالم الإنس وأنثى من عالم الجن. فالأنسى يحب جنية وتقبل الزواج منه بشرط واحد كالأ يراها فى أوقات معينة، ثم يخالف الجنى الشرط ويفقد الجنية، ويحاول استعادتها، وقد يفلح فى هذه المحاولة.

### حكايات الحيوانات عند الطفل :

أما الحكاية فهى تنتمى إلى الأدب الشعبى. هذا الأدب الذى ينبع من أعماق التراث. ويصل عن طريق الرواة إلى كل الأجيال، ويضاف إليه فى كل عصر ما يرتبط بالعصر والمجتمع على السواء.

وأما الحيوان فإن علاقته بالإنسان تاريخية موهلة فى القدم، وحينما نقول الحيوان فإننا نقصد - علمياً - كل ما يحيا فوق الأرض من حيوان وطيور وأسماك وحشرات، وعلاقة الإنسان بالحيوان تبدأ منذ وطىء آدم الأرض. فغراب قابيل علمه كيف يوارى سواة أخيه، وإبراهيم عليه السلام قد

اطمأن قلبه فنادى على الطير الميت فجاءت طائفة إليه، وكبش إسماعيل عليه السلام قد أنقذه من الموت المحقق، وحات يونس قد ابتلعه ثم أخرجه حيًا، وبقرة بنى إسرائيل كانت معجزة بين أيديهم، وحمار العزيز، وكلب أهل الكهف يؤكدان قدرة الخالق العظيم على إحياء الموتى، وعنكبوت الغار وبمامة حففت محمداً عليه السلام من بأس أعدائه، وقبل ذلك بأزمان طويلة وشاهد سليمان بملك بلقيس، وحمل نوح عليه السلام فى سفينة البشر والحيوان زوجين زوجين.

كما أن كثيراً من مفكرى العرب وعلمائهم قد اهتموا بالحيوان فوضعوا له مؤلفات نادرة أشهرها كتب الجاحظ، والدميرى، والقزوينى، والأحمق وغيرهم، ومن ثم وجد الإنسان ضرورات التطور والوجدان الإنسانى. فكتب حكايات على لسان الحيوان وكأنه ينطقه كما ينطق البشر، ويجعل له مكانة اجتماعية وثقافية وفنية تناظر مكانة البشر.

وأشهر الكتب التى تناولت الحكاية على لسان الحيوان هى كليلة ودمنة، وخرفات لقمان، وحكايات إيسوب، وإن كانت الحكاية على لسان الحيوان قد عرفتها الحضارات القديمة جداً مثل الحضارة المصرية فى (حكاية السبع والفأر) التى وجدت على أوراق البردى التى تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، على حين تعود حكايات إيسوب اليونانية إلى القرن السادس قبل الميلاد. ويرى بعض المؤرخين أن الهند قد كتبت أيضاً حكايات الحيوان فى حكايات تناسخ بودا.

أما فى العصور الحديثة فقد كتب لافونتين الفرنسى حكاياته التى استمدتها من كليلة ودمنة وإيسوب ولقمان، ثم كتب محمد عثمان جلال ديوان (العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ) والذى يشتمل على مائتى قصة شعرية، أغلبها على السنة الحيوان، ثم قام أحمد شوقى بكتابة: الحكايات فى أثناء وجوده فى فرنسا متأثراً بخرافات لافونتين.

ثم جاء عبدالله قريچ عام ١٨٩٣ ونظم ديوان: (نظم الديوان فى أمثال لقمان) فى خمسين مثلاً فى صورة أراجيز على السنة الحيوان والإنسان والنبات، وها هو محمد الهراوى (١٨٨٥ - ١٩٣٩) يكتب فى أعماله الشعرية بعض الحكايات عن الحيوان فى بحور شعرية راقصة. تلك هى أشهر الأعمال المعاصرة. التى تبعها أعمال أخرى أكثر حداثة من الشعراء وكتاب آخرين من أمثال: أحمد سويلم ونشأت المصرى وأحمد زرزور وعبد المنعم عواد يوسف وسمير عبد الباقي وآخرين.

فالطفل فى سنواته الأولى يعيش مع ألعابه من دمي وتماسيح وسواها ثم ها هو يدخل المدرسة فى مراحلها المختلفة وتتعاون الأسرة مع المدرسة فى تربية الطفل، ومن ثم فأهمية تربية الأطفال ورعايتهم من العوامل التى تلعب دوراً فى تنشئة الأطفال باعتبارهم أعضاء فى الأسرة، ومن المعروف أن التربية لها مظاهر كثيرة لكن ما يهمنا الآن هو البعد الثقافى فى تربية الطفل متمثلاً فى تغذية العقل والوجدان.

تقع مسئولية تثقيف الطفل خاصة فى السنوات الأولى على الوالدين، ويؤكد علماء التربية أن الطفل فى سنواته الأولى يميل إلى الحكى، وأنه ما بين الثالثة والخامسة - مثلاً - يفضل القصص التى تحكى عن الحيوانات أو الشخصيات المحيطة به: القطعة، الأرنب، الكلب، الدجاجة رموزاً للضعف والألفة، بينما الأسد والثعلب والذئب والحمار للقوة المكر والذكاء والغباء.

وقصص الحيوان فيها مضامين الخير والشر والأخلاق والقيم وتقويم السلوك والذكاء والغباء



### بطريقة جذابة.

إن علاقة الحيوان بالطفل علاقة وجدانية، وهي أبسر على الفهم من علاقة الإنسان لماذا؟ لأن الحيوان قريب من وجدان الطفل يلعب معه ويداعبه، وقد يظهر له في أحلامه وفي مخاوفه أيضاً، ومن هنا نؤكد على أن علاقة حكايات الحيوانات مع الأطفال في العلاقات الأسرية الخطاب غير المباشر في حكايات الحيوان المقدمه للأطفال.

وتحكي هذه الحكايات على لسان الحيوان ما لا يمكن أن يكون منه كلام عادة كالحيوان والنبات والجماد، وقد تجيب على لسان أناسي يتخذها المبدع رموزاً لشخصيات أخر.

إن الإنسان منذ أن دبَّ على ظهر الأرض ومس جلده ترابها بعد أن هبط آدم من الجنة، أو أهبط منها، تعرف على هذه الحيوانات. ولكنه كان يقف منها موقفاً غير واضح وغير صريح، وغير محدد في بداية التعرف، موقفاً فيه شيء من التساؤل وشيء من التخوف وشيء من الحذر والتربص والترتب.

ولكنه على امتداد العصور والحقب، ظل يتأمل هذه الحيوانات ويتعرف عليها في ضوء استفادته منها واستئناسه لها، وموقفه منها أو موقفها منه سلباً أو إيجاباً.

الحكاية إذن على لسان الحيوان هي "حكاية ذات طابع خلقي وتعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي العام لا في معناه الذهني، أي أنها تتوارى خلف ستار شفاف لا هو يهديها ولا هو يسترها، وقد نشأت هذه الحكايات تلقائية فطرية في أدب الشعب قبل أن يرتقى من الحالة الشعبية إلى الحالة الفولكلورية.

ويعد كتاب "كليلة ودمنة" من الأسباب في وجود القصص على لسان الحيوان في اللغة العربية، صحيح أنه كانت هناك بعض الحكايات والأقاصيص على لسان الحيوان في الأدب الجاهلي، وهو قطعاً قبل ترجمة "كليلة ودمنة"، و"ابن المقفع" ولكنها كانت حكايات عفوية أساسها إما شرح لبعض الأمثال العربية، مثل : ما حكى أن الأرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب : يا أبا حل : قال : سميغاً دعوتما، قالت : أتيناك نختمم إليك، قال : عادلاً حكمتما، قالت : فاخرج إلينا، قال : في بيته يؤتى الحكم، قالت : إني وجدت ثمرة، قال : حلوة فكليها، قالت : فاختلسها الثعلب، قال لنفسه بغى الخير، قالت : فلطمته : قال : بحقك أخذت : فلطمني، قال : حر انتصر لنفسه، قالت : فاقض بيننا. قال : قد قضيت، فذهبت لنفسه، قالت : فاقض بيننا. قال : قد قضيت، فذهبت كلها أمثالاً، ومثل حكاية "تاب الوبرة والأرنب".

وإما أن هذه الحكايات مقتبسة من كتب العهد القديم، وأياً كان فقد كان "كليلة ودمنة"، ذا أثر خطير في الأدب العربي وبالأخص في العصر العباسي وما لحقه من عصور. لهذا سوف نخص هذا الكتاب بالعرض باعتباره نموذجاً مهماً أساسياً في الحكاية على لسان الحيوان.

وكلما استفاد الإنسان فكرة من الفكر أو حصل على معلومة من المعلومات زاد بذلك رصيده الذهني والعقلي والاجتماعي، وزاد رصيد حياته بقدر فهمه.

وكان تسخير الله هذه المخلوقات للإنسان من أكبر العوامل التي ساعدت على تعرفه عليها عن قرب، وبحثه إياها عن كثر. ومعرفته بها معرفة صحيحة أو قريبة من الصحة، وقد تمثلت هذه

الصلة في صور كثيرة من العلاقات في الحياة البدائية. ولهذا سهل على الإنسان أن ينظر إلى هذا الكائن (الحيوان) على أنه ركيزة أساسية يقيم عليها إبداعه، فهو يستنتقه ويصنّفه بين الأخيار والأشرار ، ويدرس سلوكه وحركاته وسكناته التي تتشابه مع البشر.

### حدود الخيال في أدب الأطفال :

- ١- الخيال في أدب الأطفال ضروري، وله دوره الحيوي.
  - ٢- يجب أن ننقى أدب الأطفال من الخيالات المخيفة والمفزعة.
  - ٣- يجب ألا يؤدي المزج بين الخيال والواقع في قصص الأطفال إلى حدوث نوع من البلبلة أو اضطراب المفاهيم، أو اختلاط الواقع بالخيال.
  - ٤- الخيال العلمي (الذي يستند على العلم وحقائقه) مقبول، ولكن "العلم" الخيالي (الذي يستند على الأوهام) غير مقبول لأنه ليس "علمًا" على الإطلاق.
  - ٥- الفيصل عندما يثور خلاف في هذا المجال هو (الانطباع) الذي سيخرج به الطفل بانطباع سيء أو ضار، أو بمفهوم خاطئ. فإن هذا العمل يصبح غير مناسب للأطفال.
- نخلص من هذا البحث أن المغامرة في أدب الأطفال، والتي يتعرف عليها من خلال المواد الأدبية التراثية أو الحديثة تجعل الأطفال شريكًا أساسيًا في الإعداد للحياة المستقبلية، حيث يميل الأطفال إلى الموضوعات التي تتخذ المستقبل ومعطياته واختراعاته موضوعًا لها. إن هذا الوعي بالمستقبل هو الذي يولد لدى الأطفال الطموح والأمل في الغد، من خلال قصص المغامرة والبطولات والسير والخيال العلمي والتفكير الابتكاري والمنطقي يحول فيه الخيال إلى واقع وحقيقة تفيد مستقبلهم ومستقبل حياة البشر على الأرض جميعًا.

### المراجع :

- ١- أحمد فضل شبلول، أدب الأطفال فى الوطن العربى، الإسكندرية : دار الوفاء لنديا الطبع والنشر، ١٩٩٨.
- ٢- أحمد نجيب، اتجاهات معاصرة فى كتب الأطفال، القاهرة : المركز القومى للبحوث التربوية، ١٩٧٩.
- ٣- سالى رؤوف راجى - يعقوب الشارونى، مهارات الكتابة للأطفال، القاهرة : المركز القومى للترجمة ٢٠١٢.
- ٤- رشدى أحمد طعيمة ، أدب الأطفال فى المرحلة الابتدائية، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٩٨.
- ٥- محمد محمد الجوهري، موسوعة التراث الشعبى العربى، القاهرة : هيئة قصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ج ٤، ٢٠١٣.
- ٦- محمود الضبع، أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٩.
- ٧- ماريا ألبانوى، القصة المصرية الحديثة للأطفال، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.
- ٨- كمال الدين حسين، مدخل فى أدب الطفل، القاهرة : كلية رياض الأطفال، ١٩٩٨.
- ٩- الطفل والمستقبل : مجموعة باحثين، أبحاث المؤتمر الأول لثقافة الطفل قصور الثقافة أبريل، ٢٠١٣.
- ١٠- دراسات فى أدب الأطفال : مجموعة باحثين، اتحاد كتاب مصر، شعبة أدب الأطفال، ٢٠٠٦.